الإصدار الثالث والعشرون
المجلد (6) العدد (3)
25 أغسطس 2026
المجلة الدولية للنشر العلمي

التشكيل الجمالي في شعر إبراهيم العطار
(مديح آل البيت أنموذجاً)

فاطمة عبد الأمير شالف حسن
(كلية الاداب، الجامعة العرقية)
أ.د. شاكر محمود عبدالسعدي
(أستاذ الاداب والبلاغة كلية الاداب، الجامعة العراقية)

الملخص
يتناول هذا البحث دراسة الأغراض الشعرية في ديوان السيد إبراهيم العطار الكاظمي، مسلطاً الضوء على التشكيل الموضوعي والفني الذي ميّز تجربته الشعرية في سياق الشعر العربي المتأخر.
وقد سعى الباحث إلى الكشف عن خصوصية المديح والرثاء والتأريخ الشعري في الديوان، وكيفية توظيف الشاعر لهذه الأغراض.
يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مستقرئاً النصوص الشعرية، ومحللاً إياها في ضوء السياقات التاريخية والدينية والاجتماعية، مع ربطها بالمصادر التراثية والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.
خلص البحث إلى مجموعة من النتائج، أبرزها: أن المديح في ديوان العطار تحول من غرض تقليدي إلى تجربة روحية تربط الفضيلة الإنسانية بالمرجعية الإلهية، خاصة في مدائحه العلوية التي جعلت من أهل البيت (عليهم السلام) محوراً للقدسية والولاء. كما اتسم الرثاء عنده بالصدق العاطفي الاستثنائي، ممتزجاً بالمدح والاحتجاج الأخلاقي، خصوصاً في رثائه للإمام الحسين (عليه السلام) وفقدانه لولده وأبيه، مما جعله مرآةً للحزن الفردي والجماعي.
الكلمات المفتاحية: السيد إبراهيم العطار، المديح، الرثاء، التأريخ الشعري، الشعر الديني، أهل البيت.

Abstract:
This research examines the poetic themes in the Diwan of Sayyid Ibrahim al-Attar al-Kazimi highlighting the thematic and artistic formation that characterized his poetic experience within the context of later Arabic poetry. The researcher sought to uncover the distinctive features of panegyric, elegy, and historical poetry in the Diwan, and how the poet employed these themes.
The research adopts a descriptive-analytical approach, examining the poetic texts and analyzing them in light of historical, religious, and social contexts, while linking them to traditional sources, Qur'anic verses, and Prophetic traditions.
The research concludes with a number of findings, most notably that panegyric in al-Attar's Diwan transformed from a traditional theme into a spiritual experience linking human virtue to divine authority, particularly in his Alid panegyrics, which made the Ahl al-Bayt (peace be upon them) the focus of sanctity and devotion. His elegies were also characterized by exceptional emotional sincerity, interwoven with praise and moral protest, especially in his lament for Imam Hussein (peace be upon him) and the loss of his son and father, making them a mirror reflecting both individual and collective grief.
Keywords: Sayyid Ibrahim al-Attar, praise, elegies, historical poetry, religious poetry, Ahl al-Bayt.

المقدمة:
يُعدُّ الشعر العربي مرآةً عاكسةً لتجليات الأمة العربية والإسلامية، وديواناً حافظاً لمآثرها وقيمها، وقد ارتبطت أغراضه الشعرية بالواقع الاجتماعي والديني والتاريخي تشابكاً عضوياً، فكانت القصيدة العربية وثيقةً أدبيةً تخلّد سير العظماء وتوثق الأحداث الكبرى وتصوّر تحولات العصر.
ولعل غرضي المديح والرثاء هما الأكثر حضوراً وأثراً في هذا السياق، إذ يجسدان أقصى درجات التعلق الإنساني بالآخر، بين التمجيد والفقد، والبهجة والحزن، والخلود والزوال. ويمثّل ديوان السيد إبراهيم العطار الكاظمي نموذجاً رائداً في الشعر العربي المتأخر، إذ يظهر الشاعر بمثابة حلقة وصل بين التراث الشعري الأصيل والقيم الدينية الإسلامية، مازجاً بلاغة العرب في المديح بعمق التجربة الروحية في الرثاء، ودقة المؤرخ في التوثيق، مما جعله يؤسس لشعرية خاصة تقوم على التكامل بين هذه الأغراض في سياق أخلاقي وروحي يعكس رؤيته للعالم والإنسان.
تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يقدم دراسة متكاملة للأغراض الشعرية الرئيسية والثانوية في ديوان العطار، مع إبراز البعد التاريخي والروحي الذي ميّز تجربته الشعرية، وكيفية توظيفه للزمن والشخصيات والأحداث في بناء نصوصه الشعرية، مما يسهم في إعادة قراءة الشعر الديني والاجتماعي في العصر العثماني المتأخر.
إشكالية البحث: تتلخص الإشكالية المركزية في السؤال الرئيس الآتي: ما خصائص التشكيل الموضوعي والفني للأغراض الشعرية في ديوان السيد إبراهيم العطار الكاظمي، وكيف تجلت فيها خصوصية المديح والرثاء والتأريخ الشعري؟ ويتفرع عن هذا السؤال عدة تساؤلات فرعية، هي:
1. ما مفهوم المديح والرثاء والتأريخ الشعري في التراث النقدي العربي، وكيف تجسدت هذه الأغراض في ديوان العطار؟

2. كيف وظّف العطار المديح الديني والاجتماعي لخدمة رؤيته الروحية والأخلاقية، وما أبرز سمات هذا المديح؟
3. ما طبيعة الرثاء عند العطار، وكيف امتزج فيه الصدق العاطفي بالمدح والاحتجاج الأخلاقي، خاصة في رثائه لأهل البيت (عليهم السلام) ولأبنائه ووالده؟
4. كيف أسهم الشعر التأريخي في ديوان العطار في توثيق الأحداث والشخصيات، وما دلالات توظيف الزمن والرمزية في ذلك؟
5. ما الأغراض الثانوية التي تضمنها الديوان (كالشكوى والتهاني والإخوانيات والأمثال والتوسل)، وكيف عكست تنوع التجربة الإنسانية للشاعر؟

أهداف البحث: يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، يمكن إجمالها فيما يأتي:
1. الكشف عن خصوصية المديح الديني والاجتماعي في ديوان السيد إبراهيم العطار، وبيان كيفية تحوله من غرض تقليدي إلى تجربة روحية تربط الفضيلة الإنسانية بالمرجعية الإلهية.
2. تحليل طبيعة الرثاء عند العطار، وبيان امتزاجه بالصدق العاطفي والمدح والاحتجاج الأخلاقي، خاصة في رثائه لأهل البيت (عليهم السلام) وفقدانه لولده وأبيه.
3. دراسة دور الشعر التأريخي في ديوان العطار، من خلال توثيق الأحداث الكبرى والشخصيات البارزة، وتحليل دلالات توظيف الزمن والرمزية في النصوص الشعرية.
4. استقصاء الأغراض الثانوية التي تضمنها الديوان (الشكوى، التهاني، الإخوانيات، الأمثال، التوسل)، وبيان كيف عكست تنوع التجربة الإنسانية للشاعر من الألم إلى الفرح، ومن النصح إلى الدعاء.

الدراسات السابقة: تناولت الدراسات السابقة قضية الأغراض الشعرية في النقد العربي القديم، ومنها دراسة "شعرية الأغراض بين المتنبي وابن هانئ الأندلسي" لأبغور (2024) التي قارنت بين شاعرين في التعاطي مع الأغراض الشعرية، ودراسة "الغرض الشعري، المصطلح والمفهوم عند القدماء والمحدثين" لداود محمد (د.ت) التي ناقشت إشكالية المصطلح، ودراسة "العدد ومصطلح الغرض الشعري في النقد العربي القديم" للعتبي والحدشي (2025) التي حللت علاقة العدد بالمصطلح، ودراسة "أغراض الشعر العربي رؤية نقدية" لشعيب (2023) التي قدّمت رؤية نقدية للأغراض الرئيسة. غير أن هذه الدراسات - مع قيمتها العلمية - لم تتناول بالتحليل المتخصص تجربة السيد إبراهيم العطار الشعرية، وهو ما يسعى هذا البحث إلى سده.
يتفرد هذا البحث عن الدراسات السابقة في الأغراض الشعرية بأربعة تميزات أساسية: أولاً: كونه دراسة حالة تطبيقية لشاعر واحد (السيد إبراهيم العطار) في العصر العثماني المتأخر، بينما ركزت الدراسات السابقة على الجانب النظري أو المقارن بين شعراء كبار في العصرين العباسي والأندلسي؛ ثانياً: منهجه التحليلي التكاملي الذي يتجاوز الحصر النظري للأغراض إلى تحليل تداخلها وامتزاجها في تجربة شاعر واحد، خاصة تحول المديح من غرض تقليدي إلى تجربة روحية؛ ثالثاً: ربط النصوص الشعرية مباشرة بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية لإبراز البعد الإيماني، وهو أسلوب لم يكن محوراً رئيساً في الدراسات السابقة؛ رابعاً: توسعه ليشمل دراسة التأريخ الشعري والأغراض الثانوية (كالتوسل والإخوانيات والأمثال)، مما يقدّم صورة أشمل عن ظاهرة الأغراض الشعرية في ديوان لم يحظَ بدراسة معمقة سابقاً.

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استقراء النصوص الشعرية في الديوان، وتحليلها في ضوء السياقات التاريخية والدينية والاجتماعية، مع الاستناد إلى المصادر التراثية والنقدية في تحليل الأغراض الشعرية، وربطها بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لإبراز البعد الإيماني في شعر العطار.

المبحث الأول: المديح في ديوان السيد إبراهيم العطار

يُصنَّف المديح بوصفه أسمى الفنون الشعرية وأقدمها في التراث العربي، وقد ارتبط منذ نشأته بالوظيفة القبلية، ثم تحول في العصر الإسلامي إلى مؤسسة بلاطية، إلى أن تطور في العصور المتأخرة إلى مدح ديني وعلوي، كما هو الحال عند السيد إبراهيم العطار. فالغرض الشعري للمديح، كما عرّفه ابن منظور ، هو «الثناء على الفضائل والمناقب» (ابن منظور، 1993: ج10، ص248)، ويهدف إلى تمجيد شخص ما بسبب ما يتحلى به من شجاعة أو كرم أو علم أو نسب أو سلوك أخلاقي رفيع (عنان، 1970: ج1، ص175). وقد تحول المديح عند العطار من كونه وسيلة للتقرب إلى السلطة أو التكسب المادي، إلى أداة لتأصيل القيم الدينية والأخلاقية، وإبراز المكانة الوجودية لأهل البيت عليهم السلام، وربط الفضيلة الإنسانية بالمرجعية الإلهية.

المطلب الأول: المديح الديني

يبرز المديح الديني في ديوان العطار بأبعاده المختلفة، حيث خصص الشاعر جزءًا كبيرًا من قصائده لمدح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والإمام علي عليه السلام، وأهل البيت عليهم السلام، والإمام محمد الجواد عليه السلام. ولم يكن هذا المديح مجرد تقليد شعري، بل كان تعبيرًا عن علاقة روحية ووجدانية عميقة تربط الشاعر بآل البيت، وتجسد إيمانه بمنزلتهم الدينية والروحية.

ففي مدح النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، يصرح العطار بتركه لمدح أهل الدنيا، ويؤكد عزمه على التوجه إلى مدح المصطفى، مبينًا صلة القرابة التي تربطه به، ومؤكدًا أن الهداية ونور الحق تغمر قلبه طالما أن النبي هادٍ له ولأهل الهدى، كما في قوله (من البحر البسيط):

تَرَكتُ مَدحَ بنَي الدُنيا لِمُطَّلَبِي *** نيلَ الأمَانِي إذا شَابَت نَوَاصِيها
وَكَيفَ لا تَهتَدي نفسي إلى سُبل الـهُدى *** وَجدّي هادي الخلق هَادِيها
محّمدٌ سيّدُ السّادَات مِن مُضَرٍ *** مَليكُ أملاكِها مَولى مَوَاليها

(العطار، 2006: 41)

يلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر يعكس ارتباط قلبه بالنبي واتباع الهداية التي أُعطيت له ولأهل الحق، وهو ما يتوافق مع الآيات القرآنية التي تؤكد أن النبي رحمة للعالمين ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ (الأنبياء: 107)، ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ**﴾ (النجم:3)

كما يصف العطار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه نبي صدق سما عن أن يحاول ذو لب بإعجازه شكًا وتمويها، وأن السُنَ الصُحُف الأولى به نطقت، ونوّهت باسمه الآيات تنويها (العطار، 2006: 44). وفي ذلك إشارة إلى أن الله ذكر نبيه في بداية السور والآيات، مما يعكس مكانته العظيمة عند الله. ويُظهر الشاعر المكانة الرفيعة للرسول في قوله:

لو أنّ أهلَ المَعَاصِي تَسْتَجِيرُ بِه *** نَالَت أَمَانًا وَلَو جَمَتْ مَعَاصِيها
وَلَو دَعَا باسمه دَاعٍ على رم *** وَرَامَ فيها حياةً كَادَ يحييها

(العطار، 2006: 47)

فهو يقر بأن الله وهب النبي شرف الشفاعة والتوبة، وأن من يدعو باسمه بصدق يجلب الأمان والرحمة. ويربط الشاعر بين النبي والقرآن الكريم، معتبرًا القرآن المعجزة العظمى التي لا تُخفى، كما في قوله:

وَحَسبُنا بِكَتابِ الله معجزةٌ *** بَدَت كَشمسِ الضُحَى سُبحَانَ مُبدِيها
وَكلّما حَاوَلوا إخفاءَها ظَهرتْ *** والشمسُ تَظهَرُ مَا إن رُمْتَ تُخفِيه
(العطار، 2006: 44)

يُشير العطار في هذا السياق إلى الآية الكريمة: ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾(الرعد: 7)، ليؤكد منزلة النبي وعظمته كهادي ومرشد للخلق، ويشير أيضًا إلى دور الإمام علي (عليه السلام) في نصرة الدعوة الإسلامية.

أما في مدح الإمام علي (عليه السلام)، فيتنقل الشاعر ليوجه أنظاره إلى مكانته الرفيعة، مستخدمًا (مجزوء الرمل)، حيث يقول:

مَن مُجِيري مِن شبَابٍ *** فِيه قَد شَابَ قَذَالي
قَد حَلا لي درُّ لفظٍ *** مِنه كَالسِّحرِ الَحلالِ
بتُّ مِن فِكريَ فِيه *** باستِغَالٍ و اشتِغَالِ
(العطار، 2006: 48)

كما خصص العطار مدحًا للإمام محمد الجواد عليه السلام، حيث يخاطبه بوصفه "كعبة القصاد والوفاد"، ويصوره ملاذًا لكل من يلجأ إليه لنيل مراده، لما له من مقام محمود ووساطة رحمة عند الله، كما في قوله (من البحر الكامل):

أجوادُ يَاابْنَ السَّادَةِ *** الأَمجَادِ يَا كَعبَةَ القُصَادِ وَالوِفَّاد
يَا خَيرَ مَدعُوً لِكَشفِ بَلِيَةٍ *** وَأَجَلَّ مَرجُو لِنَيْلِ مُرَادِ
أدرِكْ فَتَى قَد أَمَّ بَابَكَ قَاصِدًا *** طَمَعًا بِوَافِرِ بِرِكَ المُعتَادِ
(العطار، 2006: 83)

ويدعو الشاعر الإمام بأن يمنح المتوجه إليه عطفه، فيطفئ به همّه، ويزيل عنه كل أذى وضرر، مستعينًا ببركة منزلته عند الله.

المطلب الثاني: المديح الإجتماعي

إلى جانب المديح الديني، برز المديح الاجتماعي في ديوان العطار، وهو نوع من المدح الذي يرتكز على طابع الصدق والإخلاص والكرم والتقدير الأخلاقي، وينقسم إلى مدح عام (يشمل الملوك والقادة والعلماء) ومدح خاص (يشمل الأحبة والأقارب والأصدقاء). وقد أبدع العطار في هذا النوع من المديح، خاصة في مدح والده السيد محمد الحسني العطار، حيث يمزج بين الحب الشخصي والتقدير العلمي، ويرتقي بالعلاقة البنوية إلى مستوى الولاء الروحي والفكري. ففي مدحه لوالده، يقول العطار (من البحر السريع):

يَا حُسن ظبي فَوقَ خَديه خال *** مُهَفهَفِ القَد بَدِيعِ الْجَمَال
ذي حاجبٍ كالقوس أحداقها *** مرخى ولكن ليس فيها اعتلال
وَمَن لَه وَجْهٌ وَجِيهٌ سَمَا *** عن أن يُحاكي البدر عند الكمال
(العطار، 2006: 101)

وهنا يصور الشاعر ملامح والده وصفاته الجسدية والأخلاقية، مبرزًا جمال وجهه ورشاقته، مشبهًا إياه بحسن الظبي. ثم يرقى بالوصف إلى المستوى الروحي والمعرفي، فيقول:

أذاقني من ريقِه رائقًا *** أرقَّ من نهلةِ ماءٍ زلال
فبتُّ من شوقي له في اشتغالٍ *** والقلبُ من فرطِ الهَوَى في اشتعال
(العطار، 2006: 101)

فاستخدامه لصورة "الريق" هو استعارة رمزية عن العلم والنصيحة والتربية، فالوالد قد سقاه من علمه وتربيته كأنه ماء زلال نقي عذب، وهو ما يتوافق مع قوله تعالى: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ (البقرة: 269).

فالوالد هنا واسطة في منح الحكمة، ولهذا كان "الاشتعال" في القلب لهيب التوق إلى المرشد الذي غرس فيه نور المعرفة وسماحة الأخلاق.

ويُكمل الشاعر وصف والده بقوله:

ذو هيبةٍ يَعنو لها تُبّعٌ *** وَرُتبةٍ أرفعُ مِن أن تُنالْ

يُمنَاء يُمن لِلبَرَايَا وَيُسْ راه لَهَا يُس *** راه على كُلِّ حَالْ

(العطار، 2006: 102)

فالهيبة هنا ليست عنفًا أو غلظة، بل ثقل روحي يجعل حتى ملوك اليمن الأشداء يخضعون له، وهو ما يتوافق مع الحديث الشريف الذي يصف عباد الله الذين «لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الشُّهَدَاءُ وَالنَّبِيُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَجْلِسِهِمْ مِنْهُ» (حاكم النيسابوري،1990 : 4،188). كما أن "اليُمن" سمة إسلامية عظيمة، وهي تعكس أن الوالد مصدر بركة، وأن كل عطاء يصدر منه معلومٌ عند الله ومبارك في الأرض.

أما المديح الإخواني، فيظهر في مدح صديقه "قسّ بن ساعدة"، حيث يقول:

عبث الدَّلالُ بِقِدَّة النَّشْوَانِ *** فَعَنَتْ لَه خَجَلًا غُصُونُ البَانِ

أحسن به من شادنٍ مُرَالجَنَا *** حُلوِ الشمائِلِ نَاعِسِ الْأَجْفَانِ

(العطار، 2006: 101)

وهنا يتخذ المديح طابعًا جماليًا وجدانيًا، إذ لا يصف فضيلة أخلاقية بل جمال الوجود ذاته، وتشبيه الممدوح بالغزال الصغير وغصون البان يعكس ثقافة الجمال التي ترى في الجسد البشري مرآة للروح، وهذا يتوافق مع الحديث النبوي: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال» (الألباني، 1988 : 1،359).

وفي مدح الأصدقاء، مثل قصيدة "وَعَد" التي تنتمي إلى نمط الإخوانيات، يرفع الشاعر الطلب المادي إلى مستوى العلاقة الأخوية العميقة، فيصوغه في قالب الشوق والحنين والوفاء. ويستعين بسلسلة من الصور الفنية، فيشبه يد الممدوح بالغيث الذي يفيض:

جوادٌ إذا جاءت سحائبُ كفّه *** أرتكَ البحورَ الطامياتِ سواقيا

(العطار، 2006: 168)

ويُعمق هذا التصوير في قوله:

سحابُ ندى أغنى العُفاة فلم يدع *** مقلاً على وجهِ البسيطةِ عافيا

(العطار، 2006: 168)

هنا يتحول الممدوح إلى قوة طبيعية خيرة، كالمطر الذي لا يميز بين المحتاج والغني، بل يعم الجميع بنعمته، وهو ما يتوافق مع قوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ (الإنسان: 8).

ويصف الشاعر مكانة الممدوح العالية وهيبته التي ترهب الشجعان في المعارك:

له هيبة يوم الوغى ذكْر بأسها *** يذيبُ من الرعبِ الأسودِ الضواريا

له رتبةٌ ما إن تنالَ وهمةٌ *** سمت فوق هامِ النيّرات مراقيا

(العطار، 2006: 168)

ويُكمِل وصفه في قوله:

فَخرُ الكِرَامِ الكَاتِبِينَ وَمَن إذا *** أَخَذَ اليَراعَ أَتَى بِسِحْرِ بَيَانِ
مولىً بِثَاقِبِ رَأيهِ وَنُهَاهُ رُكـ *** ـن المُلكِ أَصبَحَ ثَابِتَ البُنْيَانِ
هو تَاجُ رَأْسِ الفَخر غُرَةُ جَبهة الـ *** ـعَلْيَاءِ دُرّةُ طَلْعَةِ الإحْسَانِ

(العطار، 2006: 168)

فهنا لا يكتفي الشاعر بوصف الممدوح بأنه كاتب، بل يجعل منه نموذجًا للإنسان الكامل، الذي يجمع بين البلاغة والحكمة والثبات الاجتماعي، فاليراع في يده لا يخرج منه كلام عابر، بل سحر يؤثر في النفوس ويعيد تشكيل الواقع، وهذا يتوافق مع المفهوم القرآني للبلاغة في قوله تعالى: ﴿اللَّـهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ (الزمر: 23). كما يبرز الشاعر أن الممدوح صار عمادًا للمجتمع، كعمود لا يسقط البناء دونه، وهو ما يتوافق مع الحديث الشريف: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» (مسلم النيسابوري، د.ت : 4،2052)، فالمؤمن القوي هنا هو الذي يملك العقل والرأي والقدرة على الإصلاح.

وفي مدح ابن أخيه السيد عيسى، يقول العطار:

يا أيها الشَهمُ الذي قَد حَوَى *** الغَيثِ وَبَأسَ الأسدْ
وَيَا سَليلَ المُصطَفَينَ الأُلى *** مَكرُمةَ حَازُوا كَمالا لم يَحُزه أحدْ

(العطار، 2006: 131)

فالتميز هنا لا ينبع من الذات فحسب، بل من الانتماء إلى سلالة المصطفين، وهو ما يتوافق مع الآية القرآنية: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ (الأحزاب: 33)، ومع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:«أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا»(حاكم النيسابوري،1990، 3،137).

المبحث الثاني: الرثاء في ديوان السيد إبراهيم العطار

يشكّل الرثاء معنى التحسر والندب وإظهار مظاهر اللوعة على فقد الميت، وهو «الشعر الذي يعبر فيه الشاعر عن الحزن واللوعة التي تنتابه لغياب عزيز ففجع بفقده من خلال تعداد مناقبه والإشادة بمآثره والتوجع عليه»(الحسيني، د.ت: 68). وقد تميز رثاء العطار بالصدق العاطفي والعمق الروحي، حيث تنوع بين الرثاء الديني لآل البيت عليهم السلام، والرثاء الشخصي للأب والابن، والرثاء الاجتماعي للعلماء والأصدقاء.

المطلب الأول: الرثاء الديني

يعكس الرثاء الديني أحد تجليات الرثاء التي تقوم على إظهار المعنى الديني بشكل مغاير عن أنواع الرثاء الأخرى، إذ كثيرًا ما نجد اختلاط الرثاء بالمدح، وتغلب عليه مشاعر الصدق واللوعة الناجمة عن الحسرة الشديدة والذهول إزاء هول الموت لعظم مكانة الفقيد من الناحية الدينية. ومن الرثاء الديني ما جاء في رثاء السيدة فاطمة عليها السلام، حيث يقول العطار (من البحر المنسرح):

مَا بَالُ عَيْنِي يَفِيضُ مَدمَعُها *** وَلا يَبَلُّ الغَلِيلَ أدمُعُها
وَمَا لِقَلبِي لَم تَخبُ زَفرَتُه *** وَمُهجَتِي لَم يَبْخُ تَلَوُّعُها

(العطار، 2006: 52-53)

يعكس الشاعر عبر هذه الأبيات أثر الرثاء وتبعاته على نفسه، فيشيع الحزن ومظاهر الندب متمثلة بالبكاء وحرارة الغليل وتفجر الحزن الداخلي، ويتضح ذلك في الاستفهامات المتتابعة التي تسهم في إعطاء ما يوفره الرثاء الديني من حشد لصفات المرثية من خلال الرثاء النفسي الذي يصور ما يعتمل في النفس من لوعة واحتراق. ويؤكد الباحثون أن البكاء على المصاب مشروع، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:«إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ

إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا» (البخاري، 1422 :2،84). ويتجاوز الرثاء في هذه الأبيات الحدود الوجدانية ليأخذ بعدًا احتجاجيًا أخلاقيًا وسياسيًا على ما وقع من ظلم، كما في قوله:

لو أنَّ فِرْعَونَ فِي الأنام وَلَى *** مَا قَد وَلَوهُ مَا كَانَ يَمْنَعُها

(العطار، 2006: 52-53)

مشيرًا إلى أن المصاب ليس شخصيًا فحسب، بل هو مصاب في العدالة والقيم، وقد أشار القرآن إلى ظلم فرعون في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا**﴾ (القصص: 4). ثم يذكر الشاعر أن السيدة فاطمة استنجدت ولم تجد مجيبًا:

ثُمَّ تُنَادِي الأَنصَارَ مُجْهِشَةً *** وَمَا مُجيب هُناكَ يَسْمَعُها

فيظهر أن عند انقطاع الحماية الدنيوية، لايبقى معين حقيقي سوى الله.

وتتجلى جمالية الرثاء الديني أيضًا في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، نظرًا لما تحتله هذه الشخصية من عظيم القيمة والذكر في النفوس، ومن ذلك قوله (من البحر الكامل):

لم أبكِ ذكرَ مَعَالِمٍ وَدِيَارِ *** قد أصبحتْ مَمحُوةَ الآثارِ

لكن بكيتُ وَحَقُّ أَنْ أبكي دمًا *** لمُصابِ آلِ المُصطفى المختارِ

وإذا تمثلتُ الحسينَ بكربلا *** أصبحتُ ذَا قَلَقٍ وَدَمعٍ جَارِ

(العطار، 2006: 65-66)

وهذه الأبيات تجمع بين الحزن الوجداني والتمجيد البطولي للإمام الحسين، إذ إن رثاء الإمام الحسين قد شكل مدًا في تناول الشعراء للرثاء الديني، لأن ذكر الحسين مقترن بذكرى المكان (تمثلت الحسين بكربلا)، حيث تشير الدراسات إلى أن واقعة كربلاء قد تملّكت شعور المسلمين بالحيرة والذهول (يوسف، 2013: 19).

المطلب الثاني: الرثاء الشخصي

شكّل الرثاء الشخصي أهمية في إعطاء النص ذلك الطابع العاطفي الوجداني، لأن الشاعر عندما يتجه نحو هذا النوع من الرثاء يكون المقصود بالرثاء يشكّل شيئًا من ذاته، وينتمي إليه بحسب درجة القرابة الشخصية، فيتسم بالصدق واللوعة الناجمة عن حسرة شديدة وحرقة في الأحشاء. ويتناول الرثاء العاطفي «رثاء الأهل والأقارب، ومن ينزل منزلهم» (الطباع، د.ت: 191-192).

ومن جمالية صدق العاطفة ما يحضر في صورة رثائه لولده، كما جاء في قوله (من البحر الطويل):

أَطيلُوا البُكا والنَّوحَ يا آلَ هاشمٍ *** فقد فجعَتْنا النّائباتُ بِهَاشِمِ

تأوّهتُ حتّى ذابَ قلبي من الأَسى *** وبكيتُ حتّى بلّ دمعي حيازِمِي

أروحُ ولا غير الدّموع مَشاربي *** وأغدُو ولا غيرَ الهمومِ مَطاعِمِي

وَمِن عَجَبٍ أن تطعمَ النّوم مقلتي *** وَطَرفُ الرّزَايَا لَيسَ عَنِّي بِنَائِم

(العطار، 2006: 347)

فالشاعر يطلب بصراحة إلى من حوله أن يطيلوا البكاء والنواح، ويظهر حزنه الصادق ولوعة حرّى وزفرات ملتهبة، «الرثاء له خصوصية نابعة من كونه أصدق الأغراض الشعرية عاطفة لارتباطه بفكرة الموت، لا سيما في رثاء الأبناء، إذ يقف الشاعر وجهاً لوجه أمام الموت الذي يغتال ولده»(يحيى، د.ت: 196). وتتسع مساحة الندب والتأسي في نص الشاعر.

فيأتي إلى الرثاء المدحي معبرًا عن حجم الخسارة الكبيرة، ومازجًا بين المدح والرثاء، كما في قوله (من البحر الطويل):

كُماةٌ إذا ما عنَّ للدهرِ مغنمٌ *** رأوا غَمَرَاتِ الْحَتفِ أوفَى المَغَانِمِ
تخوضُ بهم بحر الهياجِ سوابحٌ *** تعومُ بأمواجِ الرَّدَى المُتلاطِمِ
بكلّ رُدَينِي كَعوبٍ وَصَارِمٍ *** لآجالِ أبطالِ الكريهةِ صارِمِ

(العطار، 2006: 349)

فيرى في صفات الممدوح ما يعكس مدى بسالة المرثي والحزن لفقده، فهو لا يبكي الفقيد بقدر ما يخلد بطولته وشجاعته، ومما قاله الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في الشجاعة: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» (مسلم النيسابوري، د.ت : 4،2052) وينهي أبياته بالانتقال من الفخر إلى الحكمة، ومما جاء في القرآن الكريم عن الأجل المحتوم: ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ (الأعراف: 34).

ومن الرثاء الشخصي ما جاء في رثاء أبيه السيد محمد الحسني العطار (من البحر الكامل):

هَمّ يَدُومُ وَحَسرَةٌ تَتَجدّد *** وَشُوَاظُ نارٍ في الحَشَى يَتَوقَدُ
وَمَدامعٌ مَصبُوبَةٌ وَحَرَارَةٌ *** مشبوبَةٌ زَفَراتُها تَتَصَعَدُ
وَمُصِيبَةٌ عَمَّ البَريَّةَ حُزنُها *** واختصَّ فيها مَن نَمَاه مُحمّد

(العطار، 2006: 418-419)

فنلاحظ أن في رثاء الأقارب ما يُظهر حساسية العاطفة تجاه المرثي، حيث يعكس الحزن ذلك الحمل الثقيل على كاهل الراثي، فنجده دائم التعبير عن الهم والحسرة، فيجد في البكاء ما يناسب حالة التنفيس عن آهاته وحسراته. وقد «مثّل البكاء طريقًا إلى تفريغ الحسرات والآهات والمشاعر بأشكالها المختلفة، وكان للبكاء السبيل لإطفاء حرقة الأكباد، والتخفيف من لوعة التحسر والتعبير عن مقدار الأحزان التي تعتصر القلوب» (يحيى، د.ت: 22). ومن تجلي المعنى لرثاء الأب ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ (الإسراء: 24)، وجاء في الحديث أن الرسول قال صلى الله عليه وآله وسلم:«إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، وعلمٍ ينتفعُ به، وولدٍ صالحٍ يدعو له»(ابن تيمية، 1995: 24،306).

المطلب الثالث: الرثاء الاجتماعي

يعكس الرثاء الاجتماعي طبيعة العلاقة الاجتماعية التي تربط بين الشاعر والآخر المخصوص في رثائه، ويتسم بإظهار النبرة الحزينة والمشاعر الجياشة، وتتفاوت طبيعته بحسب درجة الصداقة التي يبنيها الشاعر مع الآخر. ومن ذلك ما جاء في رثائه لأحد العلماء، وهو العالم القدسي السيد محسن الأعرجي (من الرمل):

عَينُ يَا وَيحَكِ جُودِي بِالبُكَا *** وَامزجي الدمع بِمُحمَرُ الدِّمَا
فَبِهذا اليَومِ قَاضِي الدِّينِ قَد *** جَارَ فِي الحكم الذي فِيهِ قَضَى
وبهذا اليوم يا بُعدًا له *** غَدَر الدهرُ بِأَصْحَابِ الوَفَا

(العطار، 2006: 172)

فعلى عادة الشاعر، يجعل من البكاء وذرف الدموع ما يشكل بداية الإشارة إلى عظيم الفقد ومرارة الوجع، «والبكاء عادة يكون الاستجابة الأولى الغالبة على النفس البشرية، وإحدى وسائل كثيرة يعبر الشعراء بواسطتها عن ندبهم»(يحيى، د.ت: 44). وقوله "وبهذا اليوم قَد حَلَّتْ بِنَا نَكَبَةٌ" يشير إلى أن المصيبة جماعية لا فردية، ويدل على مكانة المرثي المهمة، ومما جاء في وقوع المصائب في القرآن الكريم: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ**﴾ (الحديد: 22).

ومن رثائه لشخص تربطه به علاقة اجتماعية، ما جاء في قوله (من البحر الخفيف):

كيف أرجو بأن يقرّ قَراري *** بَعدَ أَن خَابَ فِي رَجَائِي رَجَائِي
أمرضَ الجسمَ يَومُه وَلَقَد كا *** نَ إِذا مَا مَرِضَتْ يَومًا شِفَائِي
فعزيزٌ عليّ أن لا أرى شخـ *** ص عَزِيزِي يَلوحُ فِي الأَحْيَاءِ
لأُذِيلَن مُرخّصًا درَّ دَمعِي *** بَعد فقد اليتيمة العصماء
ولو انّي أبكي دَمًا بدل الدمـ *** ـع على مثله لِقَلَّ بُكائي

(العطار، 2006: 410)

فيكثف العطار من معاني الحسرة واللوعة في تركيزه على ناحية التفجع في صورة البكاء، فيكتسب الخطاب صفة المزج بين الرثاء والفخر بما كان عليه فقيده، ويظهر بشكل بارز في قوله "ولو انّي أبكي دَمًا بدل الدمع على مثله"، ويلحق عتابه بتكرار المصائب والهموم، ولكنه يتفاءل بالفرج بعد الكرب، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ (الشرح: 6).

المبحث الثالث: التأريخ الشعري في ديوان السيد إبراهيم العطار

ارتبط الشعر العربي منذ نشأته بالتأريخ وتدوين الحوادث الكبرى، فكان ديوانًا للقبائل والأمم، ومجالًا لحفظ سير العظماء ووقائع الزمان. وقد برز هذا الدور جليًا في ديوان العطار، حيث لم يكن الرثاء بكاءً على فقد عزيز فحسب، بل كان تسجيلًا لمآثر الراحلين وتخليدًا لسيرتهم العلمية والخلقية والاجتماعية. ومن هنا يعد الرثاء الشعري ضربًا من ضروب التأريخ الأدبي الذي يخلد ذكر الممدوح، ويسجل صورة العصر بكل ما فيه من ملامح وأحداث (فتحي، 2007: 112).

ففي النصوص الشعرية التي بين أيدينا، نلحظ كيف رثى الشعراء صفوة العلماء ونخبة الأدباء، فوصفوا رحيلهم بأنه نكبة للعلم، وانطفاء لمصابيح الهداية، وصدع في صرح الكرامة والمجد. يقول السيد إبراهيم العطار وهو يرثي أحد الأعلام:

وما لرياض العلم صوّح نبتها *** وكانت برعم البين يانعة زهرا

(العطار، 2006: 96)

فقد جعل العلم بمثابة بستان يذبل بوفاة صاحبه، في صورة بليغة تُبرز قيمة العالم في حياته وبعد رحيله. كما أشار إلى أن فقده ليس حدثًا فرديًا بل مصاب يعم الناس جميعًا:

غداة قضى عزّ الكرام وفخرهم *** وناهيك فخرًا أحرز العزّ والفخرا

(العطار، 2006: 97)

وهذه المعاني تُعيد إلى الأذهان قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا مات العالم انقطع في الأرض نور عظيم» (الحاكم النيسابوري، 1990: 1،97) إذ يُصوّر الحديث فقد العلماء وكأنه انطفاء لمصباح هداية. ويمكن تعزيز ذلك بآية قرآنية عن طلب العلم وفضل العلماء: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ (المجادلة: 11).

ولعل أبرز ما يميز التأريخ الشعري في هذا السياق هو الجمع بين التوثيق العاطفي والتسجيل الواقعي؛ فالشاعر يُبرز مكانة المَرْثي العلمية والاجتماعية، ويُظهر أثر رحيله على الأمة، كما في قوله:

قد استوحشَ الذكرُ المبينُ لفقدِه *** وحنتْ إلى ذكراهُ أفئدةُ الذّكرى

(العطار، 2006: 98)

في هذا البيت يظهر كيف ارتبطت حياة المَرْثي بالقرآن والهداية، حتى بدا رحيله كأنه قطيعة بين الأمة وكتابها، وهو تصوير يعكس البعد الديني في الرثاء الشعري. كما نجد أن بعض الأبيات تتجاوز رثاء الشخص إلى رثاء الأمة كلها، إذ يصور الشاعر الزمان وقد أظلم بعد رحيله:

وأظلمتِ الدّنيا أسىً بعدَ فقدِه *** وكمْ قد جلا خطبًا بطلعتِه الغرّا

(العطار، 2006: 99)

وهذا البعد الكوني في التصوير الشعري يوازي قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ (آل عمران: 185).

كما يعد تحديد الزمن التاريخي في النصوص الشعرية من أهم عناصر التأريخ الشعري، إذ يقوم الشاعر بتوثيق الأحداث ومناسباتها الزمنية عبر أبياته، مما يجعل القصيدة مرجعًا زمنيًا وأدبيًا في آن واحد. ويتجلى ذلك عند العطار في قصائد مثل "البشرى" و"ولادة السيد محسن"، حيث حدد الزمن بدقة (سنة 1197هـ و1223هـ) ليؤرخ عودة العلماء أو ولادة الشخصيات المهمة. في قصيدته "البشرى"، يوثق العطار قدوم عالم من إسلامبول إلى الشام بعد فراره من ظلم حكامها، ويظهر تحديد الزمن في النص عبر الإشارة إلى السنة ومواضع الحدث، وهو ما يظهر في البيت:

بُشرَى فَبَدرُ سَعدِنَا قَد طَلَعَا *** وَنُورُ شَمْسٍ مَجدِنَا قَد سَطَعَا

(العطار، 2006: 114)

كما يوظف الشاعر الرموز الفلكية (البدر والشمس) لتأكيد الحدث الزمني وعظمة المناسبة، ويختتم القصيدة بوضع تأريخ شعري:

فابتهجُوا بشرًا بما أرّختُه *** بشرى فبدر سعدنا قد طلعَا

(العطار، 2006: 115)

هذا الاستخدام يوضح أن الشعر ليس مجرد تعبير عن المشاعر، بل توثيق للأحداث في الزمن، وهو ما يوافق المذهب القرآني في حفظ الأحداث، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ فِي مَا يَقُولُونَ لَمُؤْمِنُونَ**﴾ (المائدة: 83)، حيث يشير السياق إلى أهمية التوثيق لضبط الوقائع. كما يظهر بعد ديني مرتبط بالزمن حين يقول العطار:

وَلَمْ يَزَلْ فِي الخَيرِ يَسْعَى مُوقِنًا *** أن ليس للإنسَانِ إلا ما سَعَى

(العطار، 2006: 115)

وهذا تأكيد على الآية الكريمة: ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**﴾ (النجم: 39)، وربط الحدث بفضائل السعي والعمل الصالح، مما يدمج بين الزمن التاريخي والدلالات الأخلاقية.

وتُعد قصيدة "ولادة السيد محسن" مثالًا آخر على تحديد الزمن التاريخي، إذ ذكر العطار سنة ولادة السيد محسن وربطها بالفرح العام للمجتمع، فقال:

الله يحفظُ مُحسِنا *** ويُديمه أبدًا لنا

(العطار، 2006: 122)

ويستمر في وصف الحدث وأثره الاجتماعي:

أهلاً به من وافدٍ *** بوفُودِهِ نلنَا المُنى

(العطار، 2006: 123)

وقد أضاف بعدًا روحيًا وأخلاقيًا مرتبطًا بالآداب الإسلامية والورع، مع الإشارة إلى حوادث سابقة مرتبطة بجدود المولود، ما يجعل القصيدة وثيقة زمنية متكاملة تجمع بين التواريخ والمناسبات والمكارم. وفي البيت:

ذو همةٍ علوية بسِوَى السُها لم تُغرِنَا *** ومكانةٍ ما نَالَهَا ابنُ جلا وطلاع الثنا

(العطار، 2006: 124)

يوضح الشاعر أن الشخص المولود يمثل استمرارًا لخط النسب الشريف والزمني الذي يشمل الشخصيات البارزة في التاريخ الاجتماعي والديني. ويعزز العطار هذه القيمة التاريخية عبر استدعاء أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مثل حديثه عن الجود:« أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»(النسائي، 2011: 2544).ليربط بين زمن الحدث وصفاته الأخلاقية.

كما تتجلى دلالات الشخصيات التاريخية في شعر العطار، حيث تتحول الشخصيات إلى رموز للفضيلة والجمال والخير الاجتماعي، كما في قصيدة "نرجس" سنة 1230هـ:

عَطّر نَشرُ نَرجِسَ الأنداءَا بل عَطّر الأقطارَ والأرجاءَ

مَاهِي إلّا وَرَدَةٌ مِن نَرجِسٍ جَلَّ الذي أَنشَأَهَا إنشَاءَا

(العطار، 2006: 140)

فالشخصية هنا رمز أخلاقي واجتماعي، وهذا ينسجم مع ما جاء في القرآن الكريم حول صفات البارين: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (البقرة: 195)، ويؤكد الحديث النبوي على أهمية التحلي بالفضائل: «أحبُّ الناسِ إلى الله أنْفَعُهم لِلنَّاسِ» (الألباني، 2000: 2544).

وفي نص "فخر الكرام" حول ختان سلمان بن عبد الباقي جلبي، يربط الشاعر بين الشخصية وسماتها الخلقية والعملية، مبرزًا دورها في العلم والفضل:

فخرُ الكِرَامِ الكَاتِبِينَ وَمن إذا أخذ اليَراعَ أَراكَ سِحرَ بَيَانِهِ

وإذا تَكَلّم حَارَ أرباب النُّهَى بِبَدِيعِ جَوهَرِ لَفْظِهِ وَجُمَانِهِ

(العطار، 2006: 145)

يظهر هنا الشعر كأداة لتوثيق الإنجازات العلمية والأدبية للشخصيات، ويوازي ذلك ما ورد في القرآن الكريم حول تحفيز العقل والتعلم: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ (العلق: 1)، والسنة النبوية تؤكد على فضل العلماء وعلو مكانتهم: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء»(الألباني، د.ت: ص2).

ويتضح أثر الأحداث التاريخية في بناء الموضوعات الشعرية من خلال ثلاثة مستويات رئيسية: الرثاء والمصاب الجلل، والمدح الاجتماعي والسياسي، والاحتفال بالمناسبات السعيدة. ففي الرثاء، تظهر قصائد مثل "كيف صبري" (1204هـ) و"مات الأدب" (1218هـ) أثر وفاة العلماء والأدباء على المجتمع، حيث يتحول الفقد إلى موضوع شعري يربط بين الحزن الشخصي والخسارة الثقافية:

يالقَومِي لَوَقعِ خَطبٍ عَظِيمٍ كادت الرَّاسِيَاتُ مِنه تَأوّدْ

كيفَ صَبرِي وَصَوبُ أَدمع عَينِي مُطلَقٌ وَالفُؤادُ مِنّي مُقيّدْ

(العطار، 2006: 206)

ويبرز الشاعر أثر وفاة الشخصيات العلمية والأدبية على الناس، موثقًا الفقد ومشاعر الحزن العميقة، وهو ما يعكس القيم الإسلامية في الصبر والاحتساب: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾ (النحل: 127).

أما في المديح الاجتماعي والسياسي، ففي مناسبات مثل وفاة الحاج صالح بن عمه الحاج عبد الخالق سنة 1223هـ، يبرز الرصيد التاريخي والاجتماعي للشخصية في القصيدة:

يَا طَالبًا تَأرِيخَ عَامِ فَقَدِ مَن لِفَقدِه قَد ذَابِ قَلبُ المَجدِ

(العطار، 2006: 206-207)

فالشاعر هنا يوثق الفقد العام ويربط بين الشخصية والمجتمع، موضحًا مكانتها في الهيكل الاجتماعي والسياسي، مع إبراز الفضائل والشهامة، وهذا يعكس وظيفة الشعر في توثيق المآثر الاجتماعية وتعليم القيم.

وفي الاحتفال بالمناسبات السعيدة، تظهر القصائد الاحتفالية مثل قصيدة تهنئة (1230هـ) بمناسبة زواج ابن الشيخ أسد الله:

بُشَرى فإنّ شَمسَ أُفق الأسعَدِ زُفت إلى بَدرِ العُلا وَالسُّوْدَدِ

وقد أَدِيرَت بَينَنَا رَاحُ الهَنا بِأكوسٍ من فِضّة وَعَسجَدِ

(العطار، 2006: 190)

ويظهر في هذه النصوص استخدام الرموز الشعرية والموسيقى اللحنية للألفاظ، مع توظيف البحر الرجز، ما يعكس قدرة الشاعر على ربط الحدث بالبعد الاجتماعي والثقافي، وقد أكد ابن خلدون في المقدمة على دور الاحتفالات والمراسم الاجتماعية في تعزيز القيم والروابط المجتمعية (ابن خلدون، 1982: 89-90).

الخاتمة

يخلص هذا البحث إلى أن ديوان السيد إبراهيم العطار الكاظمي يمثل نموذجًا فريدًا في الشعر العربي المتأخر، حيث استطاع الشاعر أن يؤسس لشعرية خاصة تجمع بين الأصالة والتجديد، وبين الالتزام بالقيم الدينية والإبداع الفني، وبين التعبير الذاتي والتوثيق التاريخي. وقد تجلى ذلك من خلال الأغراض الشعرية المتعددة التي تضمنها الديوان، وفي مقدمتها المديح والرثاء، اللذان احتلا مساحة كبرى من شعره، وعكسان علاقة وثيقة بين الشاعر وآل البيت عليهم السلام، وبينه وبين والده وأبنائه وأصدقائه.

أولا: النتائج

1. ففي المديح، برز العطار كشاعر علوي مخلص، جعل من مدائحه وسيلة للتعبير عن عقيدته الدينية ومحبة أهل البيت، متجاوزًا بذلك التقليد المحض إلى التأصيل الإبداعي، حيث مزج بين البلاغة العربية الأصيلة والقيم الإسلامية، وصاغ مدائحه في سياق أخلاقي وروحي يعكس رؤيته للعالم والإنسان. وقد اتسمت مدائحه بالصدق العاطفي والعمق الروحي، وجاءت مليئة بالصور البلاغية المبتكرة التي تعكس قدرته على التعبير عن المعاني الدينية بلغة شعرية رفيعة.
2. وفي الرثاء، أظهر العطار حساسية عاطفية فائقة، وصدقًا في التعبير عن مشاعر الفقد والحزن، خاصة في رثائه لولده وأبيه، حيث مزج بين البكاء والندب والتفجع، وبين تعداد مناقب المرثي والإشادة بمآثره، متجاوزًا بذلك الرثاء التقليدي إلى رثاء يحمل أبعادًا أخلاقية واجتماعية وسياسية، كما في رثائه للإمام الحسين عليه السلام، حيث جعل من الرثاء وسيلة للاحتجاج على الظلم والتعبير عن المودة والولاء لأهل البيت.
3. أما التأريخ الشعري، فقد مثل جانبًا مهمًا من شعر العطار، حيث استخدم الشعر كأداة لتوثيق الأحداث الكبرى والشخصيات البارزة، مسجلاً بذلك سير العلماء والأدباء والقادة، ومحددًا الأزمنة والأمكنة بدقة، مما جعل من ديوانه وثيقة تاريخية وأدبية في آن واحد. وقد جمع في تأريخه بين التوثيق العاطفي والتسجيل الواقعي، وبين المدح والرثاء، وبين التعبير عن الفقد الجماعي والفردي، مما يعكس وعيًا عميقًا بدور الشعر في حفظ الذاكرة التاريخية للأمة.
4. فيمكن القول إن ديوان السيد إبراهيم العطار الكاظمي يشكل إضافة نوعية للشعر العربي، حيث يجمع بين الأصالة والتجديد، وبين الالتزام الديني والإبداع الفني، وبين التعبير الذاتي والتوثيق التاريخي، مما يجعله نموذجًا رائدًا للشعر الديني والاجتماعي في العصر العثماني المتأخر، ومصدرًا ثريًا للدارسين والباحثين في مجالات الأدب والتاريخ والفكر الإسلامي.

ثانيا: التوصيات

1. يُوصي الباحث بإجراء دراسات مماثلة على دواوين شعراء آخرين من العصر العثماني المتأخر في العراق والشام، للكشف عن خصائص الشعر الديني والاجتماعي في هذه الحقبة التي لم تحظَ باهتمام كافٍ في الدرس الأكاديمي الحديث.
2. يُقترح إجراء دراسة معمقة للتأريخ الشعري بوصفه غرضاً مستقلاً في الشعر العربي المتأخر، من خلال تحليل كيفية توثيق الشعراء للأحداث والشخصيات، ودور ذلك في حفظ الذاكرة التاريخية للأمة.
3. يُوصي الباحث بإجراء دراسة مقارنة بين السيد إبراهيم العطار وشعراء عصره من الكاظمية والنجف، للكشف عن السمات المشتركة والخصوصيات الإبداعية لكل شاعر في التعاطي مع الأغراض الشعرية.

المصادر

أولاً: الكتب

1. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. (1995). مجموع الفتاوى (عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، تح.). (ط1). المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
2. ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن. (1982). المقدمة (تحقيق: علي عبد الرازق). القاهرة: دار الفكر.
3. ابن منظور، جمال الدين. (1993). لسان العرب (ج10). بيروت: دار صادر، ط3.
4. الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم. (2000). صحيح الترغيب والترهيب. (ط1). الرياض: مكتبة المعارف.
5. الألباني، محمد ناصر الدين. (1988). الجامع الصغير وزيادته. بيروت: المكتب الإسلامي.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي. (1422هـ). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري (محمد زهير بن ناصر الناصر، تح.). (ط1). دار طوق النجاة.
7. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني. (1990). المستدرك على الصحيحين (مصطفى عبد القادر عطا، تح.). (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
8. الحسيني، جعفر. (د.ت). تاريخ الأدب العربي. بيروت: الدار الإسلامية.
9. الطباع، عمر فاروق. (د.ت). الديوان الشافعي (شرح وضبط: عمر فاروق الطباع). بيروت: دار الأرقم.
10. عنان، محمد عبد الله. (1970). تاريخ الأدب العربي (ج1). القاهرة: دار الفكر العربي.
11. فتحي، أحمد. (2007). الشعر والتاريخ. القاهرة: دار الفكر العربي.
12. مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري. (د.ت). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (محمد فؤاد عبد الباقي، تح.). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
13. النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان أبو عبد الرحمن الخراساني. (2011). سنن النسائي (أبو طاهر زبير علي زئي، تح.). (ط1). الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع.
14. النووي، يحيى بن شرف. (د.ت). رياض الصالحين. جدة: دار الرشيد للكتاب.
15. يوسف، علي. (2013). الإمام الحسين بن علي في الشعر العراقي الحديث. بغداد.

ثانياً: المجلات

1. أبغور، حسن. (2024). شعرية الأغراض بين المتنبي وابن هانئ الأندلسي. مجلة المعرفة، (19)، 927-942.
2. امحمد، داود. (د.ت). الغرض الشعري، المصطلح والمفهوم عند القدماء والمحدثين. مجلة علمية محكمة (جامعة ابن خلدون)، 56-67.
3. العتبي، حسام طه زيدان، والحدشي، سعد داحس ناصر. (2025). العدد ومصطلح الغرض الشعري في النقد العربي القديم. مجلة العلوم الأساسية، (31)، 311-318.
4. شُعَيب عبد الحميد محمد. (2023). أغراض الشعر العربي رؤية نقدية. مجلة اللغة العربية وآدابها، م1، عدد31، مارس، 443-486.

First: Books

1. Al-Albani, Muhammad Nasir al-Din. (1988). Al-Jami' al-Saghir wa Ziyadatuhu. Beirut: Al-Maktab al-Islami.
2. Al-Albani, Muhammad Nasir al-Din ibn al-Hajj Nuh ibn Nijati ibn Adam. (2000). Sahih al-Targhib wa al-Tarhib. (1st ed.). Riyadh: Maktabat al-Ma'arif.
3. Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il Abu 'Abdullah al-Ju'fi. (1422 AH). Al-Jami' al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar min Umur Rasul Allah wa Sunanihi wa Ayyamihi = Sahih al-Bukhari (Muhammad Zuhayr ibn Nasir al-Nasir, Ed.). (1st ed.). Dar Tawq al-Najat.
4. Al-Hakim al-Naysaburi, Muhammad ibn 'Abd Allah ibn Muhammad ibn Hamdawayh ibn Nu'aym ibn al-Hakam al-Dabbi al-Tahmani. (1990). Al-Mustadrak 'ala al-Sahihayn (Mustafa 'Abd al-Qadir 'Ata, Ed.). (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
5. Al-Husayni, Ja'far. (n.d.). Tarikh al-Adab al-'Arabi. Beirut: Al-Dar al-Islamiyyah.
6. Al-Nawawi, Yahya ibn Sharaf. (n.d.). Riyad al-Salihin. Jeddah: Dar al-Rashid lil-Kitab.
7. Al-Nasa'i, Ahmad ibn Shu'ayb ibn 'Ali ibn Sinan Abu 'Abd al-Rahman al-Khurasani. (2011). Sunan al-Nasa'i (Abu Tahir Zubayr 'Ali Zu'ay, Ed.). (1st ed.). Riyadh: Dar al-Salam lil-Nashr wa al-Tawzi'.
8. Al-Tabba', 'Umar Faruq. (n.d.). Al-Diwan al-Shafi'i (Sharh wa Dabt: 'Umar Faruq al-Tabba'). Beirut: Dar al-Arqam.
9. 'Anan, Muhammad 'Abd Allah. (1970). Tarikh al-Adab al-'Arabi (Vol. 1). Cairo: Dar al-Fikr al-'Arabi.
10. Fathi, Ahmad. (2007). Al-Shi'r wa al-Tarikh. Cairo: Dar al-Fikr al-'Arabi.
11. Ibn Khaldun, Abu Zayd 'Abd al-Rahman. (1982). Al-Muqaddimah ('Ali 'Abd al-Raziq, Ed.). Cairo: Dar al-Fikr.
12. Ibn Manzur, Jamal al-Din. (1993). Lisan al-'Arab (Vol. 10). (3rd ed.). Beirut: Dar Sadir.
13. Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn 'Abd al-Halim ibn 'Abd al-Salam. (1995). Majmu' al-Fatawa ('Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Qasim, Ed.). (1st ed.). Medina: King Fahd Complex for the Printing of the Holy Quran.
14. Muslim ibn al-Hajjaj, Abu al-Hasan al-Qushayri al-Naysaburi. (n.d.). Al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar bi-Naql al-'Adl 'an al-'Adl ila Rasul Allah (Muhammad Fu'ad 'Abd al-Baqi, Ed.). Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
15. Yusuf, 'Ali. (2013). Al-Imam al-Husayn ibn 'Ali fi al-Shi'r al-'Iraqi al-Hadith. Baghdad.

Second: Journal Articles

1. Abghur, Hassan. (2024). Shi'riyyat al-Aghrad bayna al-Mutanabbi wa Ibn Hani' al-Andalusi. Majalat al-Ma'rifah, (19), 927-942.
2. Amhmad, Dawud. (n.d.). Al-Gharad al-Shi'ri, al-Mustalah wa al-Mafhum 'inda al-Qudama' wa al-Muhdathin. Majalah 'Ilmiyyah Muhakkamah (Jami'at Ibn Khaldun), 56-67.
3. Al-'Utbi, Hussam Taha Zaidan, & al-Hadshi, Sa'd Dahis Nasir. (2025). Al-'Adad wa Mustalah al-Gharad al-Shi'ri fi al-Naqd al-'Arabi al-Qadim. Majalat al-'Ulum al-Asasiyyah, (31), 311-318.
4. Shu'ayb, 'Abd al-Hamid Muhammad. (2023). Aghrad al-Shi'r al-'Arabi Ru'yah Naqdiyyah. Majalat al-Lughah al-'Arabiyyah wa Adabiha, Vol. 1, Issue 31, March, 443-486.